جورج لوكاتش
دراسات في الواقعية

يعنينا هنا بالدرجة الاولى ، التعريف بموضوعات جورج لوكاتش في النقد الادبي ، التي عبر عنها في واحد من أهم كتبه : « دراسات في الواقعية » ، وقد صدرت طبعته الاولى عام ١٩٤٨ . وكان لوكاتش قد وضع فصوله بين أعوام ١٩٣٤ - ١٩٣٩ ، اثناء اقامته في الاتحاد السوفياتي ، بعد نزوح لليحت الادبي والجمالي، حيث أعاد النظر الى مفاهيمه السابقة ، خاصة التي تضمنها كتابه « نظرية الرواية » .

يعقد لوكاتش في مفتتح كتابه فصلا يتحدث فيه عن مفهوم « المثل الاعلى للانسان المنسجم في علم الجمال البرجوازي » . وفي هذا الفصل، الذي يعمد فيه الى التطبيق ، يضع المقدمات الاولى لنقده للنزعة الحديثة في ادب «الطليعة» المعاصر .

يستهل لوكاتش بحثه بالحديث عن الانجام المفقود في الرحلة الامبريالية . « الانسجام بين قدرات الانسان وقواه » . ويرد ذلك الى القهر الطبقي الذي يتافم ، منذ مرحلة « الطفولة السوية » (الشعبية البدائية) . ويشير الى ان « الشوق الى حيازة مثل ذاك الانسجام مجددا قد فتح منذ عصر النهضة أفقا لم يعتوده الوعي فحسب ، لدى افضل ممثلي التقدم» . وفي اي ضعف ، لدى افضل ممثلي التقدم» . وفي سبيل ذلك يفسر الاسباب الكامنة وراء انبعاث فكر الاوائل والشعر والفن القديمين في عصر النهضة ، بالكفاحات الطبقية المباشرة في ذلك الزمان . فيذكر كيف ان القانون الروماني « كمنظومة متسقة لاقتصاد سلعي متطور نسبيا » كان سلاحا بيد البورجوازية الثورية ضد المقاومة البدائية للامتيازات الاقطاعية . ورغم ان تلك الكفاحات جميعها - يقول لوكاتش - مغمسة بالاوهام .. بتلك الاوهام البطولية التي تتعلق بامكان تجدد الديمقراطية القديمة على اساس الاقتصاد الرأسمالي ، فلا مشاحة ابدا ان هذه الاوهام البطولية بالذات ، كانت ضرورية لطرح نقابات القرون الوسطى طرحا ثوريا .

ويستمر لوكاتش في تمهيده ، مشيرا الى الهدف العظيم الذي كان يعني اليه مفكرو عصر النهضة : « تفجير اطر القرون الوسطى المحلية، والضيقة لحياتهم الاجتماعية » الهدف العظيم حيث « كان المثل الاعلى للانسان المنسجم يتمثل في سيطرة اناس احرار ، في مجتمع حر، على الطبيعة » . ان اولئك المفكرين ، بمفهوم انجلز بالابطال « ان ابطال ذلك الزمان ما كانوا قد اصبحوا مستعبدين لتقسيم العمل الذي تستشعر غالبا نتائجه الآيلة الى ضيق الافق واحادية الجانب لدى الجميع » . ومن هنا ، وضع لوكاتش اصبعه على التناقض الذي وقع فيه مفكرو عصر التنوير البورجوازيين . فثمة من اثبرى لتمجيد الاسلوب الرأسمالي لتطور القوى المنتجة « ويشكل بها مغاضبا تبريريا عن استعباد الانسان الخيف وتمزيقه » . وثمة من غفل عن الجانب التقدمي لهذا التطور ، فهرب من حاضر العمل الحقير الى القرون الوسطى. (الرجعية الرومانسية) . وتحت سقف هذا الفكر انبثقت النزعة التالية في الادب والفن الكلاسيكي . ويدلل لوكاتش على ذلك بنموذجي غوته وشيللر في المانيا : مثلي الطوباوية الجمالية . هذان الشاعران عبرا خير تعبير عن الدعوة المثالية لتغيير العالم . ومن الممكن ان يقول لوكاتش : لقد اعتقد غوته وشيللر ان زمرة قليلة من الناس تستطيع ان تحقق المثل الاعلى للشخصية المنسجمة تحقيقا عمليا . وغير هذا التحقيق الواقعي يمكن ايجاد البلور من اجل الانتشار العام لهذا المثل في البشرية قاطبة .. ويمثل هذه الآمال الطوباوية يعرج شيللر « حول تربية الانسان الجمالية » .

ماذا كان مردود ذلك ؟ رثاء حزين ، وندب مأتمي للانسان والحياة . بتعبير آخر : استسلام فني ، حسب تعبير لوكاتش ، الذي يؤكد في الواقعية » ، وقد صدرت طبعته الاولى عام ١٩٤٨ . وكان لوكاتش قد وضع فصوله بين أعوام ١٩٣٤ - ١٩٣٩ ، اثناء اقامته في الاتحاد السوفياتي ، بعد نزوح لليحت الادبي والجمالي، حيث أعاد النظر الى مفاهيمه السابقة ، خاصة التي تضمنها كتابه « نظرية الرواية » .

يعقد لوكاتش في مفتتح كتابه فصلا يتحدث فيه عن مفهوم « المثل الاعلى للانسان المنسجم في علم الجمال البرجوازي » . وفي هذا الفصل، الذي يعمد فيه الى التطبيق ، يضع المقدمات الاولى لنقده للنزعة الحديثة في ادب «الطليعة» المعاصر .

يستهل لوكاتش بحثه بالحديث عن الانجام المفقود في الرحلة الامبريالية . « الانسجام بين قدرات الانسان وقواه » . ويرد ذلك الى القهر الطبقي الذي يتافم ، منذ مرحلة « الطفولة السوية » (الشعبية البدائية) . ويشير الى ان « الشوق الى حيازة مثل ذاك الانسجام مجددا قد فتح منذ عصر النهضة أفقا لم يعتوده الوعي فحسب ، لدى افضل ممثلي التقدم» . وفي اي ضعف ، لدى افضل ممثلي التقدم» . وفي سبيل ذلك يفسر الاسباب الكامنة وراء انبعاث فكر الاوائل والشعر والفن القديمين في عصر النهضة ، بالكفاحات الطبقية المباشرة في ذلك الزمان . فيذكر كيف ان القانون الروماني « كمنظومة متسقة لاقتصاد سلعي متطور نسبيا » كان سلاحا بيد البورجوازية الثورية ضد المقاومة البدائية للامتيازات الاقطاعية . ورغم ان تلك الكفاحات جميعها - يقول لوكاتش - مغمسة بالاوهام .. بتلك الاوهام البطولية التي تتعلق بامكان تجدد الديمقراطية القديمة على اساس الاقتصاد الرأسمالي ، فلا مشاحة ابدا ان هذه الاوهام البطولية بالذات ، كانت ضرورية لطرح نقابات القرون الوسطى طرحا ثوريا .

ويستمر لوكاتش في تمهيده ، مشيرا الى الهدف العظيم الذي كان يعني اليه مفكرو عصر النهضة : « تفجير اطر القرون الوسطى المحلية، والضيقة لحياتهم الاجتماعية » الهدف العظيم حيث « كان المثل الاعلى للانسان المنسجم يتمثل في سيطرة اناس احرار ، في مجتمع حر، على الطبيعة » . ان اولئك المفكرين ، بمفهوم انجلز بالابطال « ان ابطال ذلك الزمان ما كانوا قد اصبحوا مستعبدين لتقسيم العمل الذي تستشعر غالبا نتائجه الآيلة الى ضيق الافق واحادية الجانب لدى الجميع » . ومن هنا ، وضع لوكاتش اصبعه على التناقض الذي وقع فيه مفكرو عصر التنوير البورجوازيين . فثمة من اثبرى لتمجيد الاسلوب الرأسمالي لتطور القوى المنتجة « ويشكل بها مغاضبا تبريريا عن استعباد الانسان الخيف وتمزيقه » . وثمة من غفل عن الجانب التقدمي لهذا التطور ، فهرب من حاضر العمل الحقير الى القرون الوسطى. (الرجعية الرومانسية) . وتحت سقف هذا الفكر انبثقت النزعة التالية في الادب والفن الكلاسيكي . ويدلل لوكاتش على ذلك بنموذجي غوته وشيللر في المانيا : مثلي الطوباوية الجمالية . هذان الشاعران عبرا خير تعبير عن الدعوة المثالية لتغيير العالم . ومن الممكن ان يقول لوكاتش : لقد اعتقد غوته وشيللر ان زمرة قليلة من الناس تستطيع ان تحقق المثل الاعلى للشخصية المنسجمة تحقيقا عمليا . وغير هذا التحقيق الواقعي يمكن ايجاد البلور من اجل الانتشار العام لهذا المثل في البشرية قاطبة .. ويمثل هذه الآمال

المرء ان الصيغة التامة للسيماء الفكرية تشترط معين ملموس للعمومية » .

هذه المسألة ليست فنية محضة ، لكنها شكلية ، انما هي من صلب وعي الشخصية ، « هي مثل كل مسألة اصيلة انعكاس موضوعي ، وان لم يكن هذا الانعكاس ان التعيينات النموذجية فعلا والاشكال لحالة اجتماعية ما ، لنموذج اجتماعي ، ما ، تجد تعبيرا ملائما عنها في هذه في الواقع المعاش سلفا . لكن ليس واسعادها المنظورة ، وحسب . ليس الحاصل فقط انها المحتمل ايضا . ضرورية فقط ، بل بما تنطوي عليه للحياة لا تنحصر ابدا في معاينة بل انها تقوم استنادا الى استبصاب الجوهرية ، على خلق شخصيات ممكنة بتمامها في الحياة اليومية ، عن تلك الطاقة الفاعلة والميول . فعلها في الحياة اليومية الا مشوشا في وضوح الفاعل الادبي والاصرح في والمثل الساطع الذي يورده على دونكيشوت ، المعارضة الرومانسية الراسمالية .

اضافة الى ذلك ، فان الشخصية تكتسب مركزيتها من صراعها مع الثانوية الاخرى : هملت يصارع الاوبئة ، ايضا ليست مسألة شكلية . التوازي بين الشخصيات ليس شان فنيا محضا . « انعكاس لعلاقات البشر الكفاحية ليس على نحو معمم تعميما شديدا جدا . شكلان لانعكاس الواقع الموضوعي يمكن وسائل للتصعيد الادبي من اجل النموذجي » .

هكذا تتحدد السيماء الفكرية، عبر في النقاطه لجزئيات الحياة الانسانية ، وعي - يقظ - لا يمكن ان تصاغ اية سيرة فكرية . انها تغدو عمياء وبدون افكار في حلقة حول الذاتية الخاصة ، وبدون فكرية لا تنهض اية شخصية ادبية الى الذي به تسمو ، في حيوية تامة للفردية الصدفة البليدة للواقع اليومي ، وزمرة - الرتبة - النموذجية فعلا » .

اذا كانت السيماء الفكرية ، ركيزة الواقعي الذي يتخذ من الواقع في خميرة الفردية اليومية ، وفي شموله الموضوعي فاين تعثر الواقعية على شروطها الاخرى لوكاتش ، رواية هوغو « البؤساء » ، فالجان يسقط من السفينة ، فيصارع الامواج ، بينما السفينة (وبطانها وركابها) تمضي غير آبهة به . وجبال الثلج ، وسقوطه الذي نتيجة لخطاء . انا فهي في الرواية : لا انسانية مجتمع

لكن الامر يختلف عما طرحه هوغو لا انسانية المجتمع ليست طبيعية تأبى خارج الانسان . بل هي الاسلوب الفاص العلاقات الاجتماعية بين الناس ، فالتناقض الرأسمالية المتطورة » .

ان هذه الرواية ؛ في عرف لوكاتش بالحتم في صف الدفاع التبريري عن الناشئة . ولا يغفر لها انها نقلت نموذج نماذج في الواقع . وان الواقع اليومي شان دائما . فالتناقضات الاجتماعية التي

لا تحافظ على حدتها في الواقع اليومي ، بل تظهر بصورة استثنائية ومتميزة ، فقط . ان الالحاح على الواقع اليومي ، واستمرار النقل الحرفي لملاحظاته ، يعني في عرف لوكاتش ، فقدان نموذج الواقع ، يعني حقيقة الواقع وصدقه المجرد . وفي سجن حقيقة هو ممكن في الواقع اليومي « ان الاعلان عما هو ممكن في الواقع اليومي يعني الخلي عن صياغة التناقضات الاجتماعية في شكلها الاكثر تفجعا وتلاؤما . ان هذا المعيار الجديد للواقعية يضيق من مجال الواقع اليومي نفسه » .

ان النموذج الوسطي ، ينطوي على صدق ما ، ذلك انه ساكن ، وخارج مداره الاجتماعي . وهذه مسألة شائكة ، غير انها تستحق التدقيق فيها ، حتى لا يتحول الادب الواقعي الى رصف صور بلا طائل ، وحتى لا يتحول الخزالة في الاسلوب ، الى غث موضوعي.

الايقاعي التمييز بحدة بين الوسطية اليومية كمجاد ادبي موجه ، وبين الاثار الكبيرة التي تحول فيها الحياة اليومية الى مادة ، والتي يستخدم المظهر الجمالي للشؤون اليومية لعرض نماذج انسانية في علاقاتها العريضة » .

والوسطية هذه ، هي كذلك ذات دلالة فكرية ، ليست محض مسألة شكلية . انها تشغل نموذجا جامدا دون عناء . نموذج منعزل ومعزول، دون اضافة . ان وراء هذا المنحى في الصياغة قبول » بالاوضاع الاجتماعية ، بدعوى موضوعية كاذبة . موضوعية بورجوازية « تبتعد عن التفاعل الحي للتناقضات الاجتماعية الكبيرة وتضع مكانها اثر فاتر تجريدات سوسيولوجية فارغة » .

والوسطية لا تعبر عن نفسها بالنموذج الواقعي (الشعبي) ، بل كذلك بالنموذج البورجوازي الصغير . النموذج الصلف ، المغرور ، الخالي من اية سيماء فكرية . ان خلوه مرده في الاساس لانطفاء علاقته بالاخرين ، ورفضه التعامل معهم. وان احتجاجه على « نثر الواقع الراسمالي » ، هو نتيجة لميكانيكية عمله وردود فعله . لذلك فان هذا البطل الاستثنائي (بورد لوكاتش الروايات الهويسمانية مثلا ..) لا يقف موقف كفاح ، وهو بالتالي كاي انسان وسطي في اية رواية للحياة اليومية .

الوسطي والبورجوازي الصغير توأمان رغم المفارقات . « وكما ان المفارقات الشكلية ليست سوى مالوفات مقلوبة ، فكذلك ليس الاستثنائي نفسه سوى انسان وسطي يعد دائما لاسباب تتعلق بالاصالة ، على راسه .

وهذان الطرازان هما على السواء : فارغان ومحيدان عن الصراعات الاجتماعية الحقيقية ، ومن كل محتوى حقيقي للتاريخ . انهما ظاهرتان باعتبار مجردتان ضيقان ووحيدتا الجانب ، واخيرا ببساطة لا انسانيتان . وينوجب على هذين الطرازين كما يسرب الى صياغتهما عرضا شيء يشبه المعنى ، ان نخضعا لسلطة قدر خفي غريب . والا فلن تحدث شيء البتة في عمل ادبي كان ينبغي ان يكون بطله الفعال انسانا متفوقا» .

هكذا يعيد لوكاتش الاعتبار للنزعة الواقعية : الثورية وليست التقليدية . العميقة وليست الضحلة . والتقدمية وليست البورجوازية . وفي الوقت ذاته لا يترك لوكاتش الفرصة دون ان يفضح الادب البورجوازي بكافة منوعاته. حيث القدرة على التعبير عن كل ما هو غير جوهري وعن انماط الظهور الطارئة للفردية المحضة .

- البقية في العدد القادم -

جورج لوكاتش ؟

ولد جيورجي لوكاتش في بودابست ، ١٣ نيسان ١٨٨٥ . تلقى الفلسفة في جامعة هايدلبرغ وحاز على الدكتوراه سنة ١٩٠٦ ثم قصد جامعتي برلين وهيدلبرغ وتعرف فيهما على اشهر ممثلي مختلف المدارس الفلسفية انذاك . وقد سجلت حصيلة دراساته في ميدان علم الجمال وعلم المجتمع في كتابين : الروح والاشكال ١٩١١ ، ونظرية الرواية ١٩١٦ .

وفي سنة ١٩١٥ عاد جورج لوكاتش الى بودابست ، وامضى سنة ١٩١٨ الى الحرب الشيوعي المجري الذي كان قد ألف حديثا . وفي سنة ١٩١٩ تم اختياره عضوا في لجنة الحرب المركزية واسع نفوذ « الثقافة الشعبية » في حكومة بيلاكون . وقد انتج تفكيره السياسي ثلاث كتب هي : التاريخ والوعي الطبقي ١٩٢٣ ، لينين ١٩٢٤ ، موسى هس والجدل المثالي .

اقام في معهد ماركس - انجلز بين سنتي ١٩٢٩ - ١٩٣١ ، ثم استقر في الاتحاد السوفياتي بدءا من سنة ١٩٣٣ .

وفي سنة ١٩٤٤ رجع جورج لوكاتش بعد هزيمة الفاشية الى بودابست ، وقد سمي عضوا في الاكاديمية العلوم ودخل الحزوة النيابية لبلده . وفي سنة ١٩٥١ عرف عن كل نشاط سياسي لمعارضته السائدة .

اشترك سنة ١٩٥٦ في الحركة المجرية. وقد نفي خلال بضعة شهور الى رومانيا لم سمح له سنة ١٩٥٧ بالعودة الى بودابست . وفي سنة ١٩٦٧ اعيد جورج لوكاتش بناء على طلبه الى عضوية الحزب الشيوعي المجري .

قصائد من الشعر الثوري الصيني

المنارة

الحقل العام منارة مشعة
تضيء لنا جيدا درب تقدمنا
الامس كان ما يزال معتمرا قبعة المتعلم
واليوم لا قبعة : نشمر عن سواعدنا
وقرب الآلات نكتب الأشعار !
والشعراء هم نحن - نحن العمال .

■ عودة الدوريه لبلا

دوريتنا عادت
الخيول تخب في النسيم
والبحيرة الخضراء ، حيث يرتوون
تغسل تعبنا ايضا .

نسمع السمك المار يصطدم بالقصب
مفزعا زبد الماء الابيض
في البعيد راعية صغيرة تدندن :
قطيع يعود .

هذا المساء يجب ان تكون الاحلام
السعيدة كثيرة
للدورية العائدة بعد نهار مشقات .
الزهور البرية التي تحملها
تبشر كذلك بخلقها السعيد

انظر بعيدا كم هي جميلة خيمتنا
فوق الافق زجاجها مشتعل
اي اخت بكر طرزتها بالزهور
وأية عروس وضعت فيها قلبها ؟
ثوب غيم ارجواني يرفرف على
حافة السماء

البحار يدخل الوطن

بحارا انهيت خدمتي
وعدت الى وطني الام .
استعنت بذراعي
لاحضن البحر الكبير .

استعنت بصدري
لاجابه العاصفة والمطر
استخدمت رجلي
لادوس قمة الامواج .
انا الراجع الى الوطن الام
ساظل ايضا بحارا
لكي ارافق وطني
نحو مرافىء السعادة .

أية شرارات - شرارات لامعة
واحدة فوق واحدة تكون حجرا محرقا ؟
وأية عصافير جبلية ، رف عصافير
مزقزقة تبني اعشاشها فوق المياه .

لكن ليست هذه سوى ساقيتنا
الوطن الوحيد والام الوحيدة
من جمع حجارة وكنوزا
في مخابىء الهاوية المظلمة

وددت لاصدقائي لو استطعت
أن آخذها بقبضتي وتنزلق
من بين اصابعي
الكواكب هذا المساء جد كبيرة ومنيرة
والنهر لم يعد سوى موجه ضياء .

اذا لم تكن لوطنك مقاتلا ، مسلحا
فوق حصانك الجموح
فكيف تستطيع ان تعرف جمال
الجبال والمياه العظيمة ؟
وكيف تستطيع ان ترى في ايلول
حقل النجوم :
شرقطة القلائد النارية المتعددة دائما ؟

الغيوم البراقة تنفرط قربنا
تخال انها ستجري تحت الباب
نحن ، نمد ايدينا
والضوء يعانقنا .

بخروجنا من الخيم
أصبحت الغيوم بعيدة عن السطوح ،
نرمي بصراخ فرحنا
ونحو الضوء نمد أذرعتنا .

ايتها الغيوم الصديقة لغاباتنا
ارحلي رويدا على مهل !
وحيث تذهبين
احملي سلامنا الى الوطن .

العادة في كل صباح
ان نحيي الغيوم اولا
بعدئذ نذهب الى المصنع
فيبدا يوم عملنا .

اغنية العلم الكبير .

يا علم العمال ، يا علم الاتحاد
يا غيمة ارجوانية حجبت السماء
وغطت الارض
الريح القوية تطوي امواجك المحرقة
يا مطر الدراق في سماء ايار الزرقاء .
يا علم المعارك يا علم النصر
يا صاعقة تقلب الجبال والبحار
الارض تسمعك وكل النجوم
تسمع نداءك الذي يهز القلب .

كم من الليالي المظلمة نورت
وكم من العقول الغافية اهديت
الى الحياة
في دخان المعامل وتحت مصابيح الحفر
بك تحسسنا اننا اكثر مسؤولية .
كم من الجدران الفولاذية سحقت
وكم اجتزت من ادغال المدافع .
في الطول والصراخ المصم
امرتنا بزحف عظيم .

ايها العلم . يا علم الصف العمالي الكبير
انت الذي هدمت سجون العالم القديم
لو لم تكن الارض الا لؤلؤة صغيرة
لكنت وشي عليتها الاحمر
لقد لونت بالاحمر هواء زماننا
ولونت بالاحمر الرياح والامواج ،
السماء الزرقاء والغيوم البيضاء
كل انسان يتنفس ويعيش في لونك
انت يا منارتنا . مشعلنا
ونجمتنا الحمراء

يا علم المعارك ، يا علم النصر
يا صاعقة تقلب الجبال والبحار
حامل العلم الوحيد الذي يستحق
ان يحملك

ونحن نحيي ونحلف ،
راكضين بسرعة الى الامام (*)

(*) ترجمها صبحي حبشي ، ستصدر فيما بعد مع قصائد اخرى عن مجلة «المواقف»

اصوات الحطابين

العصافير على الخيم
تغني النهار القصير .
تدفع مصاريع النوافذ لتتامل
في البعيد
الغيوم ، رفع بيضاء مستر سلة
في الغابات .